[72] وحمل الاشتر النخعي وهو يريد عائشة، فلقيه عبد ا بن الزبير، فضربه، واعتنقه عبد ا فصرعه، وقعد على صدره، ثم نادى عبد ا: اقتلوني ومالكا (1). فلم يدر الناس من مالك فانفلت الاشتر منه، فلما رأى كعب بن سور الهزيمة، أخذ بخطام البعير، ونادى: أيها الناس، ا ا. فقاتل وقاتل الناس معه، وعطفت الازد على الهودج، وأقبل علي وعمار والاشتر والانصار معهم يريدون الجمل فاقتتل القوم حوله، حتى حال بينهم الليل، وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال سبعة أيام، وإن عليا خرج إليهم بعد سبعة أيام فهزمهم، فلما رأى طلحة ذلك رفع يديه إلى السماء. وقال: اللهم إن كنا قد داهنا في أمر عثمان وظلمناه فخذ له اليوم منا حتى ترضى، قال فما مضى كلامه حتى ضربه مروان ضربة أتى منها على نفسه، فخر وثبتت عائشة، وحماها مروان في عصابة من قيس ومن كنانة وبنى أسد، فأحدق بهم علي بن أبي طالب، ومال الناس إلى علي، وكلما وثب رجل يريد الجمل ضربه مروان بالسيف، وقطع يده، حتى قطع نحو عشرين يدا من أهل المدينة والحجاز والكوفة، حتى إنى مروان من خلفه، فضرب ضربة فوقع، وعرقب الجمل الذي عليه عائشة. وانهزم الناس، وأسرت عائشة، وأسر مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان، وموسى بن طلحة، وعمرو بن سعيد بن العاص، فقال عمار لعلي: يا أمير المؤمنين، اقتل هؤلاء الاسرى. فقال علي: لا أقتل أسير أهل القبلة إذا رجع ونزع. فدعا علي بموسى بن طلحة، فقال الناس: هذا أول قتيل يقتل، فلما أتى به علي قال: تبايع وتدخل فيما دخل فيه الناس ؟ قال: نعم. فبايع وبايع الجميع وخلى سبيلهم، وسأل الناس عليا ما كان عرض عليهم قبل ذلك فأعطاه، ثم أمر المنادي فنادى: لا يقتلن مدبر، ولا يجهز على جريح، ولكم ما في عسكرهم وعلى نسائهم العدة، وما كان لهم من مال في أهليهم فهو ميراث على فرائض ا. فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين، كيف تحل لنا أموالهم، ولا تحل لنا نساؤهم ولا أبناؤهم ؟ فقال: لا يحل ذلك لكم. فلما أكثروا عليه في ذلك: قال اقترعوا، هاتوا بسهامكم ثم قال: أيكم يأخذ أمكم عائشة في سهمه ؟ فقالوا نستغفر ا. فقال: وأنا استغفر ا. قال: ثم إن عليا مر بالقتلى، فنظر إلى محمد بن طلحة وهو صريع في القتلى، وكان يسمى السجاد، لما بين عينيه من أثر السجود. فقال: رحمك ا يا محمد، لقد كنت في العبادة مجتهدا آناء الليل قواما، وفي الحرور صواما، ثم التفت إلى من حوله فقال: هذا رجل قتله بر أبيه فاختلفوا في طلحة وابنه محمد أيهما قتل قبل ؟ فشهدت عائشة

_____ (1) يريد عبد ا بن الزبير يمالك: الاشتر، وهو بذلك يشير إلى قول الشاعر: اقتلوني ومالكا: واقتلوا مالكا معي. (*)